إيفان ألترمان وكامرون براون (*)

# تأييد الجمهور الأميركي لإسرائيل آخذ في التغيّر

يفترض أن تثير هتافات الاحتجاج التي أطلقها الجمهور في القاعة التي عُقد فيها مؤتمر الحزب الديمقراطي الأميركي في شهر أيلول ٢٠١٢ الدهشة لدى إسرائيل ومؤيّديها. في المسوّدة الأولى لبرنامج الحزب شُطب الإعلان التقليدي الذي ينصّ على أن القدس "كانت وستبقى عاصمة إسرائيل". أثار هذا التغيير النقد في صفوف الناشطين المؤيدين لإسرائيل وقد انثنت قيادة الحزب الديمقراطي في محاولة لتعديل البرنامج بواسطة تصويت الحاضرين في القاعة علنيًا. وإزاء الدهشة البادية للعيان لدى رئيس الجلسة، رئيس بلدية لوس أنجلوس أنطونيو فيارايجوسا، فإن هتافات المصوّتين الذين صرخوا ثلاث مرّات "لا" كانت عالية بدرجة كافية لإثارة الشكوك حول توفّر أغلبية الثلثين المطلوبة لتعديل البرنامج.

من وجهة نظر عليا، لم يكن فوز الرئيس باراك أوباما الممارس لمنصبه بديهيًا وواضحًا في بداية المنافسة، إذا ما أخذنا في الحسبان نسب الرضا المتدنّية عنه، والاقتصاد المتزعزع ومعارضة غالبية الجمهور الأميركي للتشريع الذي قاده الرئيس: الإصلاح في مجال التأمين الصحي.

ويمكن أن نعزو هذين الحدثين إلى عدة تغييرات اجتماعية وديمغرافية جوهرية تشهدها الولايات المتحدة. في العام ١٩٩٢ حين انتُخب بيل كلينتون رئيسًا فإن ٤،٣ مليون أميركي من أصل لاتيني فقط شاركوا في الانتخابات. وفي العام ٢٠٠٠ حين

(*) إيفان ألترمان- باحث في "معهد أبحاث الأمن القومي" في جامعة تل أبيب. كاميرون براون- طالب للقب الثالث، وحاصل على منحة دراسية ضمن "مشروع نيوباور" للطلاب الباحثين في "معهد أبحاث الأمن القومي" في جامعة تل أبيب. المصدر: المجلة الفصلية "المستجد الاستراتيجيّ"، مجلد ٥١، عدد ٤، كانون الثاني ٢٠١٣

أميركا: تغيرات اجتماعية تنعكس على أنماط التصويت.

فاز جورج بوش بالرئاسة، شارك في الانتخابات ٦ ملايين أميركي من أصل لاتيني. وفي العام ٢٠١٢ شارك في الانتخابات حسب التقديرات حوالي ١٢,٥ مليون أميركي من أصل لاتيني؛ أي نحو ثلاثة أضعاف العدد الذي شارك في الانتخابات قبل عقدين.

التغيرات في الانتماء الديني أكثر دراماتيكيّة: في العام ١٩٧٢ أجاب نحو ٧٪ من الأميركيين بأنهم لا ينتمون لأية ديانة. وقد ارتفعت هذه النسبة إلى ١٥٪ العام ٢٠٠٧، وهي تبلغ اليوم حوالي ٢٠٪. كما أن الفجوة بين الأجيال في أنماط التصويت هي أوسع اليوم مقارنة مع العقود الأخيرة. يميل المصوتون الشباب وبشكل واضح أكثر لتأييد الديمقراطيين، والأميركيون البالغون في السن يصوتون أكثر للحزب الجمهوري.

لقد جسّدت الانتخابات التي جرت في الولايات المتحدة العام ٢٠١٢ قوة هذه النزعات وكيفية تحوّلها إلى عوامل حاسمة في تحديد نتائج الانتخابات. والأميركيون أنفسهم بدأوا يلاحظون ذلك؛ ففي اليوم التالي للانتخابات أشار المفكرون في واشنطن، من الديمقراطيين والجمهوريين على السواء، إلى الديمغرافيا المتغيرة باعتبارها ذات تأثير حاسم على مستقبل السياسة الحزبية.

يبدو أن هذه النزعات الديمغرافية والاجتماعية في الولايات المتحدة، والتي تشير كل الدلائل إلى أنها سوف تستمرّ، تعمل ضدّ التأييد لإسرائيل من قبل الحزبين – هذا التأييد الثابت والطويل الأمد في صفوف الرأي العام الأميركي الذي يشكل حجر الأساس الحيوي في علاقات إسرائيل والولايات المتحدة.

تفحص هذه المقالة كيف يمكن أن تؤثر النزعات الديمغرافية والاجتماعية في الولايات المتحدة على دعم الجمهور الأميركي لإسرائيل. بالإمكان تحديد عدّة نزعات كهذه: الفجوات الحزبية والفجوات بين الأجيال في التأييد لإسرائيل، انخفاض التمسّك بالدين، ارتفاع عدد الأميركيين من أصول لاتينية والتغيير الذي يشهده السكان اليهود في الولايات المتحدة. كلّ نزعة من هذه النزعات تؤثر على توجّه الرأي العام الأميركي نحو إسرائيل. النزعات الثلاث الأولى (الفجوات الحزبية، الفجوات بين الأجيال وانخفاض التمسّك بالدين) تبدو أنها من المتوقع أن تقلّص التأييد لإسرائيل خلال السنوات القريبة، في حين أن ارتفاع عدد الأميركيين من أصل لاتيني من شأنه أن يعمل تحديدًا على تعزيز هذا التأييد. وأخيرًا يمكن القول إن طبيعة يهود الولايات المتحدة المتغيرة ستطرح تحدّيًا إضافيًا يجب على إسرائيل والمعسكر المؤيد لها معالجته. تختتم المقالة بتوصيات بخصوص كيف يجب على إسرائيل ومؤيديها توقّع التطورات بشكل صحيح والحفاظ على تأييد شعبي قوي لإسرائيل خلال العقود القادمة.

## الفجوة الحزبية في تأييد إسرائيل

لم تكن في الولايات المتحدة في السابق علاقة كبيرة بين التماثل الحزبي والموقف تجاه إسرائيل. الوضع اليوم مختلف. ففي الاستطلاع الذي أجري خلال عملية "عمود السحاب" في شهر تشرين الثاني ٢٠١٢، أعرب ٨٠٪ من الجمهوريين عن تأييدهم لإسرائيل مقابل ٥١٪ فقط من الديمقراطيين. وحين قُسمت العيّنة إلى محافظين مقابل ليبراليين كانت الفجوة أكبر: ٧٧٪ من المحافظين أيدوا إسرائيل و٦٪ فقط عارضوها. وفي المقابل ٣٧٪ من الذين عرّفوا أنفسهم بأنهم ليبراليون أعربوا عن تأييدهم لإسرائيل و٢٧٪ عارضوها.

أظهر تحليلنا لمعطيات استطلاع بيو Pew أن أولئك الذين تماثلوا مع الحزب الديمقراطي كانوا ذوي احتمالات أقلّ بنسبة ١٣,٨٪ للموافقة على مستوى الدعم الحالي الحكومي الأميركي لإسرائيل مقارنة مع الجمهوريين، وذوي احتمالات أعلى بنسبة ١٢,٣٪ للادعاء بأن الولايات المتحدة تؤيد إسرائيل "أكثر من اللازم". وظلّت هذه الفجوة الحزبية بدون تغيير حتى بعد تحييد مقاييس السن والدخل والثقافة والعرق والدين واستهلاك الخدمات الدينية (بشكل فردي أو كمجموعة) لدى المجيبين. فالديمقراطيون الشباب، على سبيل المثال، مالوا إلى التأييد لإسرائيل بدرجة أدنى من الجمهوريين الشباب، والديمقراطيون الذين "ليس لهم انتماء ديني" مالوا نحو تأييد متدنٍّ مقارنة مع نظرائهم الجمهوريين. وبكلمات أخرى، فإن التصويت المثير للخلاف في مؤتمر الحزب الديمقراطي، بغضّ النظر عن أسبابه، عبّر عن المشاعر الموجودة في صفوف شريحة من المخلصين للحزب.

ومن المثير للاهتمام أن ندرك أن أولئك الذين عرّفوا أنفسهم بأنهم "مستقلّون" والذين مالوا (وبشكل عامّ صوّتوا للديمقراطيين) أيضًا أيّدوا إسرائيل بنسبة أقلّ من أولئك الذين عرّفوا أنفسهم كديمقراطيين. الاحتمالات بأن يدعم المستقلّون، الذين يميلون إلى الديمقراطيين، إسرائيل هي أقل بنسبة ٢٣٪ من الاحتمالات لدى الجمهوريين (وأقل بـ١٥٪ من الاحتمالات لدى الأميركي المتوسط). وبشكل مشابه لما ذُكر أعلاه، حين نأخذ في الحسبان السنّ والدخل والثقافة والعرق والدين لدى المجيبين، فإن المستقلين، الذين يميلون إلى الديمقراطيين، احتمالات تأييدهم لإسرائيل تبقى أقلّ بنسبة ٢٠٪ من احتمالات الجمهوريين (وأقلّ بنسبة ١١,٥٪ من احتمالات الأميركي المتوسط). وقد ظهرت نتائج مطابقة تقريبًا من تحليل المعطيات الخاصة بأولئك الذين اعتقدوا أن الولايات المتحدة تؤيد إسرائيل "أكثر من اللازم".

لم تمرّ هذه الفجوة الحزبية في التأييد لإسرائيل دون التطرق إليها. فقد ربطها البعض بتشكيلة من النظريات بدءًا من حذر الليبراليين المتزايد إزاء استخدام القوة (وربط إسرائيل باستخدام القوة). وحتى النزعة الأكثر جوهرية المتمثلة بالتقاطب المتّسع في السياسة الأميركية. وبغضّ النظر عن السبب أو العامل فإن النتيجة واضحة: الفجوة الحزبية ثابتة وقائمة وتتّسع أيضًا.

## الفجوة بين الأجيال

ثمة نزعة ثانية وبارزة جدًا وهي الفجوة بين الأجيال: أولئك الذين يطلَق عليهم "جيل الألفية" الذين ولدوا في ثمانينيّات وتسعينيّات القرن الماضي، وأعمارهم من ١٨–٣٠ عاماً. وهؤلاء يُتوقع أن يكونوا نقديين بشكل كبير تجاه إسرائيل بالمقارنة مع الأجيال السابقة، وبالأساس بالمقارنة مع جيل "البيبي بومرز" ما بعد الحرب العالمية الثانية (مواليد السنوات ١٩٤٦–١٩٦٤)، و"الجيل الصامت" أي الذين وُلدوا في فترة التدهور الاقتصادي، مواليد ١٩٢٥–١٩٤٥، وكذلك غالبًا بالمقارنة مع جيل الـ "X" مواليد سبعينيات القرن الماضي (ما بين جيل البيبي بومرز وجيل الألفية). والفجوة قائمة بدون أية علاقة بالرابطة السياسية. وكما هي الحال في التحليل أعلاه، فإن احتساب وموازنة العوامل المختلفة الأخرى لم يغيّر الفجوة. وعلى سبيل المثال فإن الديمقراطيين أبناء "جيل الألفية" أقل تأييدًا لإسرائيل من الديمقراطيين أبناء جيل "البيبي بومرز"، وهكذا هي الحال مع نظرائهم الجمهوريين.

وعند فحص الانتماء الديني، نجد أن التغيير المتعلق بالجيل كان شديدًا بشكل خاص في صفوف الذين عرّفوا أنفسهم بأنهم "بروتستانت". ومع ذلك فإن التأييد في صفوف أولئك الذين عرّفوا أنفسهم كمسيحيين "ولدوا من جديد" تأثر بدرجة أقلّ من التغيير في الجيل.

بالإمكان أن يكون هناك تفسيران لهذه المعطيات: إما أن يكون قد حدث في الواقع تغيير في الرأي العام، أو أن الأجيال الشابة تميل بطبيعتها إلى تأييد إسرائيل بشكل أقلّ ولكن تأييدها يزداد مع ازدياد نضوجها. ولكي نجيب على هذا السؤال قارنّا المعطيات مع نتائج استطلاعين وطنيّين اشتركت في إجرائهما شبكة "سي بي إس" CBS و"نيويورك تايمز" في تشرين الأول ١٩٧٧ ونيسان ١٩٧٨. المثير للاهتمام هو الكشف عن أن الفجوة بين الأجيال في التأييد كانت في ذلك الوقت بعكس الفجوة بين الأجيال في التأييد اليوم. المتقاعدون (في سن ٦٥ وما فوق) كانوا الأقل تأييدًا لإسرائيل في حين أن أبناء ١٨–٢٩ أعربوا عن

**تميل الأجيال المختلفة نحو تطوير آراء ووجهات نظر توجّه مواقفهم طيلة الحياة. وبناء على ذلك فإن مواقف "جيل الألفية" والتي هي نسبيًا أقل تأييدًا لإسرائيل لا يُتوقع أن تضعف أو تختفي مع مرور الوقت، بالضبط مثل مواقف جيل البالغين والتي ظلت ثابتة في تأييدها لإسرائيل طيلة السنوات الـ٣٥ الأخيرة.**

التأييد الأكبر لإسرائيل. هذا النمط أيضًا كان بارزًا وواضحًا من الناحية الإحصائية، وبدون ارتباط بعوامل أخرى (مثل العرق، الدين، الانتماء الديني، الأيديولوجيا أو الثقافة).

تشير هذه المعطيات إلى أن التفسير الأول هو الصحيح. تميل الأجيال المختلفة نحو تطوير آراء ووجهات نظر توجّه مواقفهم طيلة الحياة. وبناء على ذلك فإن مواقف "جيل الألفية" والتي هي نسبيًا أقل تأييدًا لإسرائيل لا يُتوقع أن تضعف أو تختفي مع مرور الوقت، بالضبط مثل مواقف جيل البالغين والتي ظلت ثابتة في تأييدها لإسرائيل طيلة السنوات الـ٣٥ الأخيرة.

## انخفاض درجة التمسّك بالدين

تُعتبَر الولايات المتحدة بلدًا متديّنًا مقارنة مع أوروبا التي تبدو "كافرة". ومع ذلك فالواقع الأميركي أكثر تعقيدًا. فدرجة التمسّك بالدين في الولايات المتحدة تنخفض بنسب كبيرة تؤثر على الدعم الأميركي لإسرائيل. السكان البروتستانت البيض، الذين شكّلوا طيلة مئات السنين العمود الفقري الديمغرافي والاجتماعي للولايات المتحدة انخفضت نسبتهم من ٣٩٪ العام ٢٠٠٧ إلى نحو ٣٤٪ العام ٢٠١٢. ارتفعت في هذه الفترة بشكل حادّ نسبة الذين يعتبرون أنفسهم "لا دين لهم" – أولئك الناس الذين لا يوجد لديهم انتماء ديني – من ١٥,٣٪ إلى ١٩,٦٪ (وتشمل هذه الفئة الملحدين واللادينيين وهم في معظمهم يصرّحون أنهم بدون أي انتماء ديني). هذا المنحى في التغيير نابع بدرجة قليلة من الأميركيين الذين تركوا الدين ونابع بدرجة كبيرة عن استبدال الأجيال، حيث الجيل الشاب الذي لا يعتبر نفسه منتميًا لأية ديانة يحل مكان الأميركيين البالغين ذوي الإيمان الديني. وفي الحقيقة حين نمعن النظر في نتائج الاستطلاعات نجد أن الذين "بلا دين" هم وبدرجة كبيرة الأكثر شبابًا مقارنة مع أبناء الجماعات الدينية، وبناءً على ذلك يمكن أن يتصاعد هذا المنحى لدى الأجيال القادمة.

هذا التغيير الديمغرافي الدراماتيكي هو مبعث قلق لإسرائيل أو هو على الأقل سبب محتمل لتغيير الاستراتيجية التي اتّخذتها خلال العقود الأخيرة حين أعطت الأفضلية للإنجيليين المتحمّسين (evangelist). يُتوقع أن يكون البروتستانت الأميركيون أكثر تأييدًا لإسرائيل من الأميركي المتوسط في حين يُتوقع أن يكون المسيحيون "المولودون من جديد" مؤيدين لها بشكل بارز. من جهة ثانية فقد وجدنا عند التحليل الإحصائي لمعطيات الاستطلاعات أن احتمالات تأييد الـ "بلا دين" لإسرائيل أقل بنسبة ٢٣٪ مقارنة مع البروتستانت، وأن الاحتمالات بأن يقولوا بأن الولايات المتحدة "تؤيد أكثر من اللازم" إسرائيل هي أكثر بنسبة ١٩,٥٪ من احتمالات البروتستانت. من بين الذين "بلا دين" فإن الملحدين يعبّرون عن التأييد الأضعف لإسرائيل (فالاحتمالات بأن يقولوا "لا نؤيد" تبلغ نسبتها ٤٢٪)، يليهم في ذلك اللاأدريون (احتمالات أن يجيبوا بـ"لا نؤيد" تبلغ نسبتها ٢٥٪)/ يليهم أولئك الذين يعرّفون أنفسهم بأنهم بدون أي انتماء ديني (الاحتمالات بأن يجيبوا هكذا تبلغ نسبتها ١٥٪).

عملية الابتعاد الديمغرافية عن البروتستانتية والاقتراب نحو مكانة "لامنتم دينيًا" من شأنها أن تؤدي مع مضيّ الوقت إلى ضعف التأييد لإسرائيل. وبما أن الـ "لامنتمين دينيًا" هم الجماعة الدينية التي تكبر بالسرعة الأكبر في الولايات المتحدة، وعلى ضوء حقيقة كونهم يشكلون اليوم رُبع الديمقراطيين (٢٧٪)، لذلك يجب على إسرائيل ومؤيديها أن يتعلموا كيفية بناء الجسور للوصول إليهم.

## ارتفاع عدد الأميركيين اللاتينيين

لم تحظ أي من النزعات الديمغرافية العديدة التي تنمو في الولايات المتحدة بالاهتمام الكبير الذي حظي به ارتفاع عدد السكان من أصل لاتيني. وحسب التقديرات هناك نحو ٥٢ مليون

**عملية الابتعاد الديمغرافية عن البروتستانتية والاقتراب نحو مكانة "لامنتمٍ دينيًا" من شأنها أن تؤدي مع مضيّ الوقت إلى ضعف التأييد لإسرائيل. وبما أن الـ "لامنتمين دينيًا" هم الجماعة الدينية التي تكبر بالسرعة الأكبر في الولايات المتحدة، وعلى ضوء حقيقة كونهم يشكلون اليوم رُبع الديمقراطيين (٢٧٪)، لذلك يجب على إسرائيل ومؤيديها أن يتعلموا كيفية بناء الجسور للوصول إليهم.**

مقيم من أصل لاتيني يعيشون في الولايات المتحدة (وهم يشكلون ١٧٪ من مجمل السكان)؛ من ضمنهم ٥١٪ ولدوا خارج الولايات المتحدة. غالبية السكان الذين هم من أصل لاتيني في الولايات المتحدة هم مهاجرون من المكسيك هاجروا إلى الولايات المتحدة (وغالبًا بشكل غير قانوني) خلال العقود الأخيرة.

وبخلاف دول كثيرة أخرى، تمنح الولايات المتحدة المواطنة أوتوماتيكيًا لكل من وُلد أو تجنّس في الولايات المتحدة وكان تحت حكمها، حتى لو وصل الوالدان إليها بشكل غير قانوني. عدد الأطفال من أصل لاتيني الذين وُلدوا في الولايات التحدة وهم مواطنوها ويصلون إلى سن التصويت يزداد باستمرار. تشير التقديرات إلى أن ٨٠٠ ألف أميركي من أصل لاتيني يجتازون سن ١٨ سنويًا، وهذه الشريحة السكانية يُتوقع أن تشكل ٤٠٪ من الزيادة في عدد أصحاب حق الاقتراع ممن هم في سن ١٧. وعلى الرغم من أن نسبة مشاركة الأميركيين من أصل لاتيني لا تزال متدنّية بالمقارنة مع البيض أو السود (٥٠٪ مقابل ٦٦٪ و ٦٥٪ على التوالي)، فإن مجمل عددهم ضمن السكان بحدّ ذاته سوف يؤثر أكثر من ذي قبل على الانتخابات في الولايات المتحدة.

لم يغب ارتفاع عدد الأميركيين من أصل لاتيني (وزيادة قوّتهم جرّاء ذلك) عن بال المؤسسات اليهودية الأميركية التي تبدي اليقظة إزاء المناحي والنزعات التي من شأنها أن تغير التوجهات تجاه اليهود بشكل عام وإسرائيل بشكل خاص. المنظمات اليهودية القطرية، مثل "اللجنة اليهودية – الأميركية"، (بواسطة "المعهد اللاتيني واللاتينو أميركي" التابع لها)، ومشروع التبادل inter-change و"العصبة ضد التشهير"، (بواسطة المبادرات Hispanic/ Latino & Latin American Affairs)، و"المعهد اليهودي لشؤون الأمن القومي (بواسطة برنامج التعاون اللاتيني – اليهودي)؛ كل هذه المنظمات ردّت بمبادرات من عندها. وشرعت الجاليات اليهودية المحلية في لوس أنجلوس، سان دييجو، تكساس، وجنوب فلوريدا هي الأخرى في مبادرات لصنع علاقات مع الجاليات اللاتينية الأميركية. الاهتمام بهذه المبادرات من المتوقع أن يزداد بشكل متوازٍ مع ازدياد عدد السكان اللاتينيين.

يبدو من النظرة الأولى أن الأميركيين من أصل لاتيني يحملون آراء ومواقف مطابقة لتلك التي يحملها الأميركي المتوسط، من ناحية الدعم لإسرائيل، ولكن الأميركي اللاتيني المتوسط أصغر سنًا ويميل نحو الديمقراطيين أكثر من الأميركي المتوسط. وبكلمات أخرى، وإذا ما أخذنا في الحسبان بقية المميزات الديمغرافية لدى الأميركي اللاتيني، فيمكن أن نتوقع أنهم سيكونون أقلّ تأييدًا لإسرائيل بالنسبة إلى المعدل. مع ذلك، إذا أخذنا في الاعتبار العوامل الثلاثة التي بُحثت أعلاه فإن احتمالات تأييد الأميركي اللاتيني المتوسط لإسرائيل أكبر بنسبة ٧,٤٪ من الاحتمالات لدى الأميركي المتوسط. ويرتفع هذا الرقم إلى نحو ٩٪ حين نحيّد المقاييس الأخرى مثل الدخل والتعليم والذهاب إلى الكنيسة.

لذلك فإن الحضور والقوة الانتخابية المتزايدة لدى الأميركيين اللاتينيين يُتوقع أن يعبّرا عن نزعة إيجابية تجاه إسرائيل، وبشكل خاص على ضوء تماثلهم الكبير اليوم مع الديمقراطيين وميلهم الواضح تجاههم. وبناءً على ذلك فإن هذه الفئة من شأنها أن تصبح مركّبًا جديدًا في الائتلاف المستقبلي المؤيد لإسرائيل في صفوف الموالين للحزب الديمقراطي في الولايات المتحدة. يجب على إسرائيل أن تعمل باستمرار لبلورة تأييد هذه الفئة السكانية، التي تبدي الاهتمام المتزايد بالشؤون الخارجية وتحصل على مواقع أكثر في هذه المجالات.

## الوجه المتغيّر ليهود الولايات المتحدة

كان اليهودي الأميركي النموذجيّ اشكنازيًا من الطبقة الوسطى – العليا ومن سكان الضواحي ومنتميًا للكنيس المحلّي

**لذلك فإن الحضور والقوة الانتخابية المتزايدة لدى الأميركيين اللاتينيين يُتوقع أن يعبّرا عن نزعة إيجابية تجاه إسرائيل، وبشكل خاص على ضوء تماثلهم الكبير اليوم مع الديمقراطيين وميلهم الواضح تجاههم. وبناءً على ذلك فإن هذه الفئة من شأنها أن تصبح مركّبًا جديدًا في الائتلاف المستقبلي المؤيد لإسرائيل في صفوف الموالين للحزب الديمقراطي في الولايات المتحدة. يجب على إسرائيل أن تعمل باستمرار لبلورة تأييد هذه الفئة السكانية.**

التابع للتيار الإصلاحي أو المحافظ، ويرسل أولاده إلى الكنيس لتعلّم القليل من اليهودية واللغة العبرية بعد الدوام في المدرسة. وهو بالطبع يقدّم أيضًا بإخلاص دعمه (ومالَه) لـ "حملة الطوارئ" الأخيرة من أجل إسرائيل. هؤلاء هم اليهود الذين يملأون القاعة حين تأتي النخبة الإسرائيلية لإلقاء الكلمات أمام الجالية اليهودية المحلية، وأولادهم هم موضوع للسخرية في برنامج "بلاد رائعة" (بالعبري: "إيرتس نِهدِرِتْ" – برنامج في إحدى قنوات التلفزيون الإسرائيلية).

ولكن عدد هؤلاء اليهود الأميركيين في انخفاض كبير ومستمرّ. والإثبات المحدث جدًا على ذلك موجود في تقرير الخبير الديمغرافي سبيبان م. كوهين وزملائه حول يهود نيويورك، الصادر في حزيران ٢٠١٢ . ويشكل هذا التقرير علامة مميزة في هذه القضية. وعلى الرغم من أن المعطيات الوطنية مختلفة عن المعطيات الخاصة بنيويورك، فإن الأبحاث السابقة أيضًا تشير إلى أن المنحى بخطوطه العريضة متشابه جدًا: فمن جهة هناك استمرار الاندماج ومعدلات الولادة المنخفضة لدى اليهود من غير الأرثوذكس (وعلى ما يبدو، يوازي ذلك الانخفاض الشامل في التمسك بالدين في الولايات المتحدة)، ومن جهة ثانية معدلات الولادة المرتفعة لدى اليهود الأرثوذكس (وبشكل خاص الحريديم). ويدور الحديث عن ظواهر تباشر تأثيرها من الناحية الديمغرافية. وفي حساب شامل ومتوازن أفرغت هذه النزعات من المضمون ما كان منذ الأزل لبّ اليهودية الأميركية: يهودي ساكن في الضواحي، هويته الدينية محدّدة وواضحة، ولكنه ليس أرثوذكسيًا. لقد انخفضت نسبة الأسر اليهودية المنتمية للإصلاحيين والمحافظين في منطقة نيويورك من ٧٠٪ في العام ١٩٩١ إلى ٤٢٪ في العام ٢٠١٢، في حين ارتفعت نسبة الأسر المحسوبة على التيار الأورثوذكسي في المنطقة نفسها وخلال الفترة نفسها من ١٣٪ إلى ٣٠٪، وارتفعت نسبة أولئك الذين يعرّفون انتماءهم الديني بـ "آخر" (الذي يوازي تعريف "لا دين له" في الأبحاث حول التمسك بالدين في أميركا) من ١٥٪ إلى ٣٧٪.

الوجه المتغير ليهود الولايات المتحدة هو أمر حاسم في العلاقات الإسرائيلية – الأميركية في السياق الأوسع، لأن الشريحة اليهودية الأميركية التي تتلاشى هي بالضبط تلك الشريحة التي شكّلت رأس الحربة في الجهود المبذولة لكسب التأييد لإسرائيل في أوساط الجمهور الأميركي وممثليه السياسيين. وعلى سبيل المثال فقد عملت منظمة "إيباك" الكثير من أجل تنويع المعسكر المؤيد لإسرائيل من الناحية العرقية والدينية، ولكن على الرغم من ذلك ظلّ لكل مجلس إدارته تقريبًا وطاقم العاملين فيه والمتبرعون الأساسيون من اليهود. ولا يجوز اعتبار ذلك فشلاً، بل بالعكس فقد كوّنت إسرائيل والحركة الصهيونية دائمًا علاقات خاصة مع يهود الشتات؛ ولذلك من الطبيعي ومن المناسب أن يقود اليهود الجهود السياسية المؤيدة لإسرائيل، حتى لو انضمّ آخرون إليهم.

وفي المقابل، يُتوقع أن تؤثر التغييرات الديمغرافية داخل يهود الولايات المتحدة على المنظمات المؤيدة لإسرائيل، وبالتالي على جوهر قاعدة تأييد إسرائيل في أوساط الرأي العام الأميركي. وعلى سبيل المثال سوف يأخذ اليهود الأرثوذكس، الذين تربطهم علاقات قوية بإسرائيل، على عاتقهم أدوارًا قيادية كبيرة جدًا، وهي عملية قد بدأت في صفوف الأرثوذكس العصريين. الحريديم الليتوانيّون (تيار من تيارات الحريديم – المترجم) هم مخزن كامن إضافي للقادة، وبشكل خاص على ضوء مستوى علاقاتهم القوية مع إسرائيل ومعدلات الولادة العالية ومستوى الدخل والثقافة العاليين لديهم. وعلى الرغم من أن ازدياد انخراط

التغيير الأميركي يطال المكوّن اليهودي.

اليهود الأرثوذكس يبدو حيويًا للمحافظة على الرأي العام المؤيد لإسرائيل، فإن هذا الأمر يطرح عدّة أسئلة أساسية: الأول والأهم من بينها، كيف ستعالج القوى المؤيدة لإسرائيل الاختلاف المتزايد بين القيادة المركزية ليهود الولايات المتحدة (التي ستشدد على المحافظة على الفرائض الدينية أكثر من القيادة السابقة) والنزعة لدى عموم سكان الولايات المتحدة الذين يبتعدون عن الانتماء الديني؟ اليهود الأرثوذكس صوّتوا بشكل جارف العام ٢٠١٢ لصالح مِيتْ رومني وأعطوا الزخم للشريحة الجمهورية المتزايدة ضمن "الصوت اليهودي"، الذي شارك في الانتخابات لرئاسة الولايات المتحدة العام ٢٠١٢، بحيث ارتفعت نسبة هذه الشريحة من ٢٢٪ لتصل إلى ٣٠٪ من أصوات اليهود. والسؤال في مثل هذا الوضع هو كيف ستواجه قيادة تميل إلى الجمهوريين التحدّي المتمثل في المحافظة والإبقاء على دعم الديمقراطيين لإسرائيل؟

وعلى المدى الطويل فإن انخفاضا في عدد اليهود المتماثلين مع الدين ولكنهم ليسوا أرثوذكسيين يُتوقع أن يقلّص القوة الديمغرافية لليهود الأميركيين الذين كانوا ليبراليين بشكل تقليدي وأن يقلص فرص جماعات مثل منظمة "جي ستريت" اليسارية.

كان بالإمكان أن نتوقع أن يشكل اليهود الأميركيون الليبراليون جسراً بين الجماعات الديمغرافية في أميركا المتغيرة، ولكن هذا الجسر يُتوقع أن يكون متداعيًا ضعيفًا أكثر من أي وقت مضى.

## استنتاجات وتوصيات

إن معطيات مجمل الاستطلاعات حول التوجّه المؤيد لإسرائيل في الولايات المتحدة، والتي تشير إلى دعم في الأوج تقريبًا بلغت نسبته ٦٣٪، من شأنها أن تولّد في إسرائيل شعوراً كاذبًا بالأمن. وحين نفحص ما يكمن وراء الأرقام نجد أن النزعات الديمغرافية والاجتماعية ترسم صورة صعبة جدًا: الولايات المتحدة تبتعد أكثر فأكثر عن الدين؛ وتأييد الأجيال الشابة من المصوّتين هناك أقلّ بدرجة كبيرة من تأييد جيل البالغين؛ والسكان اليهود الأكثر تديّنًا في طابعهم رغم النزعة المعاكسة لدى عموم السكان الأميركيين.

من المهم أن نذكر أن النزعات الثلاث الأساسية التي تعمل ضد إسرائيل (الفجوة الحزبية، الفجوة بين الأجيال، والتمسك بالدين) لا تتناول بالضرورة الجماعة نفسها. من الناحية العملية لكل نزعة تأثير خاصّ بها (بنسبة ١٣٪ إلى ١٧٪ تقريبًا) منفصل بشكل

**لا تستطيع إسرائيل ومؤيدوها إعادة الجيل الشاب إلى مقاعد الكنيسة أو أن يصدروا الإملاءات لليهود الأميركيين غير الأرثوذكس ليُنجبوا أكثر. وفي عبارة أخرى، لا يستطيعون بعصا سحرية إعادة بناء الولايات المتحدة التي كانت في سنوات التسعينيّات. يجب على إسرائيل أن تواجه الديمغرافيا الأميركية كما هي. وإذا كان الأمر كذلك، كيف يمكن أن نواجه التحدّي الذي تطرحه الديمغرافيا الأميركية؟**

مطلق عن النزعات الأخرى؛ أي أن التأثير الإجمالي لهذه النزعات على موقف الجمهور تجاه إسرائيل هو تأثير تراكمي. وهكذا، على سبيل المثال، احتمالات تأييد الجمهوريّ البروتستانتيّ الأبيض والبالغ نسبيًا (ابن "الجيل الصامت") لمواقف الولايات المتحدة تجاه إسرائيل هي احتمالات عالية (٧٩٪). وفي مقابل ذلك احتمالات تأييد الديمقراطي الأبيض الذي لا انتماء ديني له، ابن "جيل الألفية" لمواقف الولايات المتحدة تجاه إسرائيل تبلغ نسبتها ٣٣٪ – والفارق بينهما هو ٤٦٪.

لا تستطيع إسرائيل ومؤيدوها إعادة الجيل الشاب إلى مقاعد الكنيسة أو أن يصدروا الإملاءات لليهود الأميركيين غير الأرثوذكس ليُنجبوا أكثر. وفي عبارة أخرى، لا يستطيعون بعصا سحرية إعادة بناء الولايات المتحدة التي كانت في سنوات التسعينيّات. يجب على إسرائيل أن تواجه الديمغرافيا الأميركية كما هي. وإذا كان الأمر كذلك، كيف يمكن أن نواجه التحدّي الذي تطرحه الديمغرافيا الأميركية؟

يجب على إسرائيل ومؤيديها المحافظة في الأساس على الدعم الشعبي في صفوف الديمقراطيين – التغيرات في الرأي العام لدى الموالين للحزب الديمقراطي لم تترجَم حتى الآن إلى انخفاض في التأييد في الكونغرس الذي ظلّ ثابتًا كما كان دائمًا. وأحد الأسئلة المركزية التي لا جواب عليها حتى الآن على صعيد العلاقات الإسرائيلية – الأميركية هو السؤال: متى، وفي أيّ نطاق، سيؤثر التأييد الآخذ بالانخفاض لإسرائيل في صفوف الديمقراطيين على خطاب وأنماط تصويت المشرّعين الديمقراطيين. سيحدد الإجابة على هذا السؤال بدرجة كبيرة مدى نجاح إسرائيل في إعادة تنظيم الائتلاف المؤيد لإسرائيل وتحريكه داخل بؤر التأييد لدى الديمقراطيين.

ويعني جزء من هذه الجهود بالتأكيد تعزيز علاقات إسرائيل ومؤيّديها مع تلك الشرائح السكانية الأميركية التي تتزايد قوّتها. ويبدو أن التركيز على ساحات الجامعات هو عملية صحيحة لأنها وسيلة أساسية لسدّ الفجوات بين الأجيال. وقد بدأت الجهود لإقامة العلاقات مع السكان الأميركيين من أصل لاتيني، وبشكل خاص من قِبَل منظمات يهودية في الولايات المتحدة.

ويجب على حكومة إسرائيل أن تستند إلى هذه الجهود وأن تشترك بصورة كاملة في صنع العلاقات؛ وليس فقط من خلال دبلوماسييها الموجودين في الولايات المتحدة، بل أيضًا بواسطة السياسيين ومتخذي القرارات في إسرائيل نفسها.

وتعي وزارة الخارجية الإسرائيلية ذلك، وقد صعّدت جهودها بطرق لافتة، ومن ضمن ذلك بواسطة ١٣ جهة محلية تتحدث الإسبانية أخذت على عاتقها مهمّة بناء علاقات بين إسرائيل والجاليات اللاتينية. وفي زيارته الاخيرة إلى جنوب فلوريدا التقى نائب وزير الخارجية السابق، داني أيالون، الذي يتحدث الإسبانية، مع قادة الجالية اللاتينية؛ وأجرت وسائل الإعلام باللغة الإسبانية مقابلات معه.

التحدّي الأكبر في المستقبل هو خلق الشعور بالارتباط لدى "اللامنتمين دينيًا". تزايد الابتعاد عن الانتماء الديني من شأنه أن يشكّل جزءًا من تزايد الابتعاد عن المؤسسات الاجتماعية بشكل عام – وقد انتشر الحديث عن هذه النزعة في كتاب الباحث روبرت فوتنام، Bowling Alone. وبناءً على ذلك لن يكون بالإمكان عن طريق الكنيسة الاتصال مع "اللامنتمين دينيًا"، بل سيكون بلوغهم أصعب أيضًا عن طريق المؤسسات الجماهيرية الأخرى.

وعلى ضوء ذلك يجب على الجهات المؤيدة لإسرائيل تخصيص موارد إضافية لتحسين فهمها ومعرفتها لمصادر المعلومات

**بالطبع، فإن المَركزة تتيح للقوى المؤيدة لإسرائيل استغلال "أفضليات الكبر" واستغلال القوة الناجمة عن الأعداد الكبيرة. أحد الحلول لهذه العمليات المتعارضة هو الفصل بين اللوبي الموجّه باتجاه واشنطن، مثل "إيباك" التي يمكن أن تكون للمركزة أفضلية بالنسبة إليها، والجماعات المؤيدة الموجَّهة نحو الجمهور، والتي يمكن أن يتبين أن صفات مثل التجزئة والتشريح والسرعة هي صفات مفيدة بالنسبة إليها.**

الخاصة بهذه الفئة، وبالأساس معرفة المصادر التي يستقي منها أبناء هذه الفئة المعلومات السياسية. ويمكن أن يتّضح، على سبيل المثال، أن الطريقة الأفضل لإقامة علاقات مع هذه الشريحة السكانية، تستلزم تكريس جزء من الجهود التي تستثمرها الجماعات المؤيدة لإسرائيل في الإعلام الجماهيري، في وسائل الإعلام الخاصة بهذه الشريحة، لأنه بهذه الطريقة يمكن الوصول إلى جمهور الهدف حتى لو كان أصغر بشكل أدقّ وأكثر تأثيرًا. وإذا كانت حقًا هذه هي الطريقة، فمن الأجدر تشجيع المرافعين القياديين المؤيدين لإسرائيل على الكتابة والظهور في وسائل الإعلام الأخرى، مثل وسائل الإعلام الاجتماعية والإنترنت وقنوات التلفزيون الخاصة، التي ستصل بشكل محدّد إلى الشريحة التي تعرّف نفسها "لامنتمية دينيًا"، وذلك بدلاً من تشجيعهم على نشر آرائهم في الصحافة الوطنية العامّة. وفي جميع الأحوال فإن المرحلة الأولى في هذه الاستراتيجية هي بالضرورة عبارة عن دراسة داخلية تفحص من أين تستقي هذه الشريحة السكانية غير المحدّدة في نطاق جغرافي معيّن معلوماتها وكيف تبلور مواقفها وآراءها. لقد تطورت الجهود لإقامة علاقات مع السكان من أصل لاتيني بشكل جيد نسبيًا، ولكن استراتيجيات خلق علاقات مع "اللامنتمين دينيًا" ربّما تكون أكثر أهمية، على الرغم من أن ذلك يشكل بدون أدنى شك تحدّيًا كبيرًا.

ويجب على الجهات المؤيدة لإسرائيل التسليم، في نهاية الأمر، بالمناحي الديمغرافية المتغيرة لدى اليهود الأميركيين. انكماش الجماعة التي تشكل لبّ اليهود المرتبطين بالدين ولكنهم ليسوا أرثوذكسيين يهدّد بتقليص العمود الفقري للجماعة السكانية المؤيدة لإسرائيل. السؤال المركزي المطروح خلال العقود القريبة القادمة هو: كيف يجب التعويض عن اضمحلال هذه الجماعة القيادية – هل من خلال ارتفاع أعداد الأرثوذكسيين العصريين والحريديم الغربيين (الليتوانيين)، أم بواسطة المؤيدين الأميركيين المتحمسين من غير اليهود، أم بواسطة المزيد من التدخل من جانب الإسرائيليين العلمانيين، في كافة أماكن سكناهم؟ وفي هذا السياق يجب على حكومة إسرائيل أن تسعى لضمّ المزيد من الممثلين الحريديم الغربيين والحسيديم (تيار يهودي متدين – المترجم) في المنتديات وفي اللقاءات الكثيرة التي تجريها مع القيادات اليهودية الأميركية.

وفي المقابل، بما أن الليبراليين والذين "لادين لهم" لا يُتوقع أن يقتنعوا بادعاءات هذه الجماعات فإن الفوز بدعمهم يُلزم بالعمل مع منظمات تميل إلى اليسار وبواسطتها. تشكّل هذه النقطة تحدّيًا للمؤسسة الأميركية المؤيدة لإسرائيل التي تثمّن التضامن. لقد بدأت منظمة "إيباك"، على سبيل المثال، العمل من سنوات الخمسين في القرن العشرين، في أوقات المركزانية في المجتمع وفي السياسة الأميركية والتي عبّرت عن نفسها، بثلاث شبكات تلفزيون وثلاث شركات لإنتاج السيارات وثلاث تيارات يهودية مركزية وجماعتين عرقيتين متميزتين وحزبين سياسيين قويين تعاونا في ما بينهما، إضافة إلى أمور أخرى. واليوم، في مقابل ذلك، الولايات المتحدة أكثر انقسامًا – وهذه الظاهرة هي السبب وهي نتيجة النزعات التي وصفناها في هذه الدراسة.

كيف إذن تستطيع منظمة مؤيدين لإسرائيل، أساسها في العصر الصناعي، أن تصمد أمام تحدّي الولايات المتحدة ما بعد عصر الصناعة؟ وفي الحقيقة منذ سنوات كثيرة يدّعي الكثيرون من اليهود الأميركيين أنه لا تستطيع منظمة واحدة أن تواصل التحدث باسم جميع مؤيدي إسرائيل، ولكن النقطة التي نثيرها مختلفة: في عهد التقاطّب المتزايد والانقسام الاجتماعي، من

المشكوك فيه أن تكون هناك منظمة وحيدة قادرة على أن تؤثر بشكل فعّال على مواقف عموم الشرائح السكانية في المجتمع الأميركي. ويمكن في الحقيقة أن نلاحظ في العقد الأخير نموّ وازدهار جماعات مؤيدة لإسرائيل سواء على يسار الخارطة السياسية (مثل منظمة "جي ستريت") أو على يمين الخارطة (مثل "لجنة الطوارئ من أجل إسرائيل")، أو بدلاً من ذلك مبادرات عمل أو تبرعات من قبَل شخص واحد مثل شلدون إدلسون. ويمكن اعتبار هذه الظاهرة تطوّراً مباركًا.

بالطبع، فإن المَركزة تتيح للقوى المؤيدة لإسرائيل استغلال "أفضليات الكبر" واستغلال القوة الناجمة عن الأعداد الكبيرة. أحد الحلول لهذه العمليات المتعارضة هو الفصل بين اللوبي الموجّه باتجاه واشنطن، مثل "إيباك" التي يمكن أن تكون للمركزة أفضلية بالنسبة إليها، والجماعات المؤيدة الموجَّهة نحو الجمهور، والتي يمكن أن يتبين أن صفات مثل التجزئة والتشريح والسرعة هي صفات مفيدة بالنسبة إليها.

إحدى الإمكانيات لمعالجة هذه الجماعات المؤيدة هي السعي نحو نموذج ائتلافيّ، تتحدث فيه هيئات مختلفة عن مركّبات مختلفة من النشاطات المؤيدة لإسرائيل وتتوجّه إلى جماهير مختلفة في المجتمع الأميركي. لقد نما أحد نماذج هذا الائتلاف ضمن أطر جامعية بواسطة "ائتلاف إسرائيل في الحرم الجامعي". ومن شأن جسم مركزي على نطاق أكبر أن يتمتع بصلاحيات للتنسيق وبسيطرة معينة على تمويل الجماعات التي يتشكّل منها.

ويمكن أن تنمو من صفوف هذه الجماعات جماعة تعمل لتوحيد ودمج الليبراليين المؤيدين لإسرائيل، بحيث يكونون أقلّ اهتمامًا بالتعبير عن الذات الذي تعرضه فروع منظمة "جي ستريت" (مثل الاعتراض على جزء من السياسة الإسرائيلية) وأكثر اهتمامًا بالتحدّي المتمثل في بناء توجّه إيجابي تجاه إسرائيل في صفوف زملائهم الأميركيين الليبراليين.

ويمكن أن يحافظ الجسم المنسّق على الشهرة والقوة أيضًا بفضل تفويض الجماعات الأعضاء في الائتلاف، والذي من شأنه أن يتيح التركيز الأنجع لنقل الرسائل. وفيما عدا قضية المبنى التنظيمي فإن المعركة حول التأييد المستقبلي من قبل الحزب الديمقراطي لإسرائيل يجب أن تدار وأن تقاد بمساعدة مؤيدين من داخل صفوف الحزب نفسه.

واستنادًا إلى الافتراض بأن الرأي العام الأميركي تجاه إسرائيل يُتوقع أن يكون خلال العقود القادمة منقسمًا أكثر مما كان عليه في الماضي، فإنه يجب على صانعي القرارات في إسرائيل دراسة الأبعاد الاستراتيجية الناجمة عن ذلك. بالإمكان عمل الكثير من أجل زيادة الدعم لإسرائيل إلى الحد الأعلى في صفوف الأميركيين، ومن ضمن ذلك، من خلال إدخال التعديلات على سياسة إسرائيل تجاه جيرانها. وفيما عدا ذلك يجب على قادة إسرائيل أن يفحصوا ماذا يمكن أن تعمل دولة إسرائيل من أجل تعزيز علاقاتها مع الولايات المتحدة و/ أو المحافظة على مكانتها الجيو- سياسية الشاملة، علاوة على الفوز بدعمها الكامل من قبل الجمهور الأميركي.

إن التحدّي الأكبر هو زيادة التأييد العام الأميركي إلى الحد الأقصى – وهذا المجال يمكن أن يعمل فيه الكثير – وبعد ذلك تحديد الاستراتيجيات الجيو- سياسية والسياسات الأخرى التي ستعوّض عن الانخفاض التدريجي في تأييد الجمهور في الولايات المتحدة لإسرائيل.

[مترجم عن العبرية. ترجمة محمد كيال]